على متن الطيبة

غادة المجدل

بين أحضان الطبيعة وربوع الهوى

تأليف

احمد حسيف و عبد الرحمن سعد

obeikandl.com

obeikandl.com

الاستاذ احمد سيف

الاستاذ عبد الرحمن سعد

obeikandl.com

مقدمة

تقديم وتقدير

لحضرة صاحب الفضيلة الأديب الكبير الأستاذ محمد خليفة

إلى الأرواح السابحة فى دنيا الأحلام تنهل من نبعها رحيق أمانيها العذاب . إلى القلوب الهائمة بين مغانى الذكريات ترتل ترانيم هواها أقدم :-

غادة القصر

فى ثوب رقيق نسجته للخلود يدان ونضره على شاشة الوجود قلمان فجاء جميلا جمال « غادة القصر » خلعت عليه سحرها وخلع عليها حسنه وكان جميلا من الشيخين عبدالرحمن سعد وأحمد سيف

أن تظهر باكورتهما فى هذه الروعة من حسن العبارة وجمال الاسلوب وحبك القصة واتساق فصولها وان كانت

ليست قصة واحدة بل مع قصة الفادة قصة أخيها التي صور في نهايتها الكاتبان مشكلة من مشاكلنا الاجتماعية هي مشكلة الرشوة التي قوضت آماله ولفى في الخاتمة شر الجزاء الذي يحيق بكل مرتش أثيم.

أما غادة القصر فقد عاشت أول عهدها بالحب هانئة على ضفاف النهر وبين الرياض تشدو مع الطيور وترجع حرير الجداول ناعمة بالحب والأحلام ثم تجهمت لها الأيام وعبست في وجهها دنيا التي فأسلمت جسدها السرير المرض تعاني من دائها ما تعاني

وعاشت روحها متطلعة إلى جنة الأمل بين أحضان حبيبها الذي عاهدها على الزواج ولكن القدر حرمها من سعادات دنياها ليجعلها في جنة الخلد عروس الخلود؟

محمد فايد
مدرس الأدب والبلاغة بالأزهر

نفثات قلب

تكلم عن صدق أيها القلم وأفصح ببيانك عن وجدان مكلوم. فانها الأنة الرهيبة التي دمتني الحياة لأن أمثل فيها عبداً خاضعاً لله. وجسداً مرهقاً أشبه بتمثيل الجماد للناس. ونفساً ذلة أضناها الشقاء.

عفواً وسماحاً أيها القارىء المتطوع. والداعي نداء الحق الصريح فانها صيحة لا شكوى. ودمعة لا صوت أجش. وعبرة للجيل بعد الجيل. وانها ليست القرآن هدى للناس. أو هدى العالمين ولا توراة رسل سابقين. ولكنها من قلب فقد الحياة فأصبح يرتطم بالصخور والوديان. ويقبع بين أعشاب الوهاد والقطاع والنجاد. فان لم تقنعك كلمي. فقف إلى جنبا لجنب. أحدثك البكاء. وأنزل دمعة الشقاء الحاره. لتستنبط عبرتك بنفسك. ولترجع بحكمك إلى. لا أنا أو ملوما. صادقا أو صدوقا. ولك الأمر وفق التهيؤ والضمير.

اللقاء الأول

فى ساعة من ساعات فصل الربيع الزاهر ، قضى على ضميرى وحبذ إلى فكرى جولة بين المروج والخمائل . بعد أن قضيت بربى أياما عدة قابعا فى زاوية احدى أركان الحجرة مريضا . أتضح لى منها أنها ولا ريب ضجعة الموت ورقدة الفناء . فقد كانت الألم كله . والبؤس أجمعه والمر ما شئت أن تقول . وما شئت لهذا المعنى من تفسير . فسبحان من خلق العظام وهى رميم . وسبحان من هيأ الى هذه الروح فى الحياة وجوداً . فلقد كان لأمر الله ما حول تفكيرى . وبدد أمر شكى ويقينى . تماثلت للشفاء دون طب أو طبيب . وانقرض هذا الداء جاراً لأذيا له خامسا وهو حسير .

ولنعد بالقارىء الى ما هو محور ارتكازنا فى هذا

المطاف . بعد أن وقف على حالة المرض . تأهبت لتلك الجولة . وأعددت لها المسير ، واذا بى بعد دقائق من ترحالى بين غضون الحقول ، وورود الربيع ، وتفتح الزهر ، وأريج البنفسج والرياحين . ولبثت أترجل شاطئ جدول صغير على مقربة من النبت والبقول . وبينما أنا وحالتى كما ترى وإذا بفتاة كان لها من الجمال حظاً موفوراً ، وقسطاً ملحوظا ، وراء لثام وجهها ، وقناع جمالها . ففى اللحظة التى كان لى منها النظرة القاسية ما أصاب قلبى بسهم جمالها النفاذ ، وصولة الفتنة الأخاذ ، وسطوة سحرها الخلاب . سهم الحب الأول ـ ولأول مرة أشهده ـ فاذا به صلابة الصخر ، وقسوة الجلمود .

النظرة الأولى

. . يالها من نظرة أودت بقلبين فى عالم الأموات ،

وأمسجته يد الأحياء . جمدت فى مكان جمود الجبل الشامخ الراسى العتاد . اى والله ما أفهمها نظرة . تحرق الكبد ، وتشوى القلب ، وما أفهمها نظرة أشبهه بسمداد النبل ودكون الصباه . وقفت الفتاة فى نفسى موقع الجمال الفاتن والدلال الساحر . الساخر بالوجود وما عليه . تلك ملكة الجمال وربه . فالوجود لها عبيد ، والعالم لسحر جمالها مخلوق لم تكن هى أقل وطئا منى فى تلك الفتنه . التى سلبت لكلا القلبين ، وجردت لكلا اللبين . أجل ، فلقد قفلت راجعا رغم سحر الطبيعه الأخاذ . ولكنها لم تكن فى سحر الفتاة ، ودلال الجمال . فلقد استولى على كل مشاعرى ، وتربع بكل جزء من جنانى . عجيب . أأكون أسير ثغر توقت منه فتنة العالم بأسره ؟ ما لهذا . أترمينى أيها القارى ، بالبله والجنون . أم ترأف بمثلى فى حالته ، وتعطف على شخصى فى ملمته : لك الأمر . فانظر ماذا ترى ؟

اللهم إن عبدك خاشع لجلالك ومبهور بك قذفت بي في عالم الوجود لتلقهني فجوة الليل ساعة بعد ساعة . فرحمك من قسوة له وصلابه ورحمك من ساعات له ساعة النجاد . سال من شغل أو شاغلة ، وفكر أو تذكرة ، سوى قلم يكتب الحب لحبيبه ، ويبسط الغرام بين سطور رقعته . فعلام لائم يقسو على قلبي ، أو ناصح يرجوني العقل ، أعدول عن مسلكي ليضل ؟ كيف الرجاء لدنفه في الحب عشق الهوى من صميمه ورشف رضاب الحبيب من عنقود كرمه .

في ساعة الأصيل

الساعة الأصيل بين الغروب واحمرار الشفق ، تتنازعني الأفكار ، وتساورني الريب والشكوك . فاليها أكتب بعد أن أستقر رأيي

سيدتي عزيزة الروح وترياق القلوب . رفلت في حلل السعادة والنعيم . أهديك من نفس سجدت بجمالك الوقاد . سلامي ، وأبثك أشواق قلب تلظى في الغرام بنار وجدك . الساعة أدعوك بملء فمي . أني لك عبد ملك اليمين . وروح تلقى بها الى من تحبين . وأملي بك المراس الواسع . أن تهبي لحريق جارك جرعة تطفيه ، أو نظرة تشفيه ، أو لفظة تنعيه . أفلا اكون قد أحسنت الظن بجمال خلقك سيدة القصور وربة الجمال . لله كلمة أرفع بها أكف الضراعة والدعاء أن يكون نصيبها التوفيق ، وحظها القبول . من قلب مكبل بأصفاد الحب وأغلال الغرام وليس بالهيب أو المشين ، انتشال قلبين من ثورة الحب وموجة الغرام الصارخ ، ليعيشا تحت لوائه ، ويسبحا في سماء أفقه . دون مايعكر صفو العيش ، أو يعترض منه السبيل فهلا رحمت قلبا تلظى في هواك . بقول يضم نعم ورضاك .

مناجاة

تلك الليلة الأولى لمناولتى الخطاب ليد المحبوبة ، لا يدا لليد ، بل بيد وسيط عادى الخلقة . يمتهن الفلاحة . ولا يعلم العربية من الهولندية . دخلت حجرة النوم بعد أن أعيانى التفكير ، وخذلنى الشيطان بوسواسه فعينا أهش لخيال مر بمخيلتى أو طاف بصدى التوفيق ، وطوراً تسبقنى دمعة الحب غاضبة . قائلة : هيهات لك من هدف يصاب ، أو مرام يجاب . أرقت لأول مرة - وما عرفت الأرق من ذى قبل . رجاء أيها النوم . أن طف بفراشى ، وأعرنى لذتك ولو لماما . ولكن أنى المجيب . لبثت على هذا المنوال وساعة الحائط تعد ساعات الليل البهيم إلى أن مللت الوجود وما ضمه ، وسئمت الحياة من أرض لها وسماء فتنة الخلق ، وسحر العالمين . أخذت أرفه عن

نفسي بكلماته الرجاء السارة . إلى أن رحمت في سبات عميق من النوم . تدرجت منه إلى الكرى الجارف ، وقمت في غبش الفجر . خائر القوى . حمدا لله نحن والنوم وكل كائن خلقة لله . نحن الآن في وقت الضحوة الكبرى ، لأول أيام مراسلتي — فلعله اليوم الذي فيه تسجل الأقدار كل محب لي . . دعاء خالص من كل الوجوه أشتريه بأبهظ الأثمان . هو الاخلاص لوجهك — وبجواري خرير الماء يؤمن ، وهدير النهر يصفق .

من الصخرة التي أنا صامت الشمس في كبد السماء . إلى أن قربت من الزوال رمضاء ذي بلد . قد توارت بالحجاب . سلوى وتعزية أيها القلب المندمل فلعلما تكتب الهجاء لك الساعه . فما أقسى لوعتي ، وأخشن محنتي .

رسالتها الاولى

إنه الوقت الذي أعتبر فيه نفسي أسعد مخلوق على

أديم هذه البطحاء وأسر انسان على وجه البسيطة جمعاء .
الساعة بعد أن أنهكني الانتظار ، وأعياني التفكير . أتلقى
الرسالة التي وضعت لي آمالي ، وأنارت طريق رشادي ..
كم لك من فرحة ومسرة ، كم لك من بهجة وأشراق .
كم بك قد تطيب الداء . الذي ما رجوت منه الشفاء إلا
لساعتي تلك التي أدخلت على فيها سروراً . وإيما سرور
واني أرتل كتابة لمن اخطاب . . .

عزيزتي . . .

اكباراً واحتراما ، واجلالا واعظاما . لبيك من فداه
صادق الوعد ، صريح النطق والتعبير . لساعتي أسطر منيتي
القلب ، وألم الجنان . فالدهر رغم السعة ، وبسطة النفوذ
ماله من لذة . فقلبي كليم كسير . أشبه بثاكل . فقد عزيز
الوجود ، ورفيق الحياة . ففي الفؤاد نار تحتدم ، وفي القلب
لظى يضطرم ، وسوف ينسج الدهر خيوط الحزن

المتشابكة المتكاثفة . ولكني لك أراد الدهر أو أعجم فاني ألمح خلف هذه السحب القاتمة بصيصا من الأمل يفتر لي عن آمال جسام . سوف نحيا في كنف لها وطنف . اي عزيزي لا تخش في الحب لومة لائم وسؤاله فالحياة في نظري . ان هي إلا طريق منعرج ، يقومه الحب ، ويصلح اعوجاجه . أو طلسم منغلق يفسر الغرام رموزه وابهامه . فالعيش كل العيش ، والحياة كل الحياة لمن أنار عتله أشعة الحب ، وضوءه . فينبع لديه الخطوة ، ويقتفي منه الأثر ..

حياة جديدة

اليوم بعد إبراق المحبوبة إلى برسالتها . أشعر أني في عالم غير الذي أعيش في سوائه من قبل . روحا تحيا فيما وراء أبهة الطبيعة . بيد اني نحو الى الأيام التي تجرعت فيها كأس الأسانه حنظلا ومريرا . لم أكن فيها إلا شبحا .

تلاطمه الزوابع والاعاصير ، كنت فيها بين الرجاء واليأس والأمل والقنوط ، فتلك الساعة الأخيرة . التى أعتز فيها بمكانتى بين هذا الورى المشمخر . وحق لى أن اشمخ بأنف العظمة ، وسلطان الوجود انها الهبة التى لا نظير لها سوى حظوة الرسالة ، وبعث النبيين وما حق لانسان أن يعترض منى القول ، أو ينقد منى الكلام . فهو يعايش فى عالم ليست أعده أحياء أهله . ولكنهم أجسام قد التقطت منها الروح وأعير لهم الوجود . ولكنا نحن الذين زهت لنا الحياة ، ووعدتنا الأمل بالقبول فقف عند حدك أيها الناقد وأخش صولة الحب وسلطانه . وتوارى عن غضبته واقحامه ، وحاول منه السلامة والسلام . . عظيم جداً أن توج رأسى بتاج الأبهة والجلال . اذ الرحلة التى أقطع منها الشوط الأول فى التجوال . هي التى أتاحت لى تلك الفرصة العظمى . ولاح لى منها بصيص الأمل . الناطق

بالرجاء الصادق وقد كنت أود لو تمتلى نظرة اليها تشفى غليل دنف متيم . أضناه عشقه وأفرده عن الوجود وهواه

قابان تحت سماء القريه

خلفت لى طواف البريد خطابا . فتسلمته ، وقضقضت غلافه على شغف ، وأمسكت بيمينى الخطاب وقرأته . وقد كنت على مقربة من اداء امتحان . وقد جاء نذيراً بتصديده . فضيت توا لأدائه . وقضيت شطراً بالمدينة . أمتع الطرف وأسرح البصر . ومن ثم عدت الى البلده فى غبش الظلام تقريبا . والسكون يسود البلده طراً . والكل يغط فى سباته . اللهم الا قلبين أهمل القدر تدوين اسميهما بسجله . فضلا عن هدى الطريق . . .

فاللهم رب الوجود والموجود ، ورب موسى وهارون وثمود ، ورب النبت فى كل أرض وعود . انى أتوجه شطر

المسجد الحرام ، صوب قبر النبي والامام ، بسبحلة شكر لك واحترام .

أقف الآن بين الذهول والدهشة ، زهاء الساعة أو مايزيد ، وقد تشرد مني الفكر ، وتشتت من الجنان ، أنظر إلى المستقبل ، بعين الأمل طوراً ، وبعين اليأس أحياناً ، وقد استشاط قلبي غيظاً واشمئزازاً ، لصروف الدهر ، التي لا ترعى لساكنيها من حرمة ، أو تحفظ لهم من إخاء ، وإذا بوحي الرجاء يهتف بي هاتف يجاوب له أرجاء سمعي ، عيباً . أن أطرح عنك فكرك ، فان الصورة التي تتمثل في المستقبل ، أوحى اليك بأبنائها ، حرفاً ، وكلمة ، وجملة ، ولكن والنفس بفطرتها ، ميالة الى الطموح ، توّاقة إلى الزيادة ، ، لم يسكن فيها ما تحرك ، ولم يهدأ فيها ما ثار . تعود إلى الفكر الدائم والكرة السالفة ، طوراً الى الأمل ، وحيناً الى اليأس ، يحفزني على الأقدام . انها الفتاة التي

بأسر جمالها أصحاب التيجان والصولجان بقيود حلقات القيد المضفر ، والتي يلهج باسمها كل علم في القرية ، ويود لو سجد بين يديها تعظيما واجلالا لذلك الجمال الساحر ، والفتنة المتوقدة . ولكنها ربة عفاف لمن جاوزني ، وهاهي ذي وثيقة عهدها الصارم بالوفاء . نصب عيني ، ارتل قيثارة لحنها بأنغام الفؤاد

الرسالة الثانية

أتاق اليوم لساعتي رد المحبوبة على رسالتها ، انها رسالة طيبة ، من أود صديق في الحياة ، وأخلص انسانة في ذلك الوجود . رسالة تؤذن باشراف عهد جديد . سوف اتدرج بسلم الرجاء ، أوج الرقي ومنار العزة والهناء . فقد جمعت ما بعثري عني آلامي ، وحوت ما طرح عني أسقامي وآه . لو أتاح لي الزمن فرصة للقاء . فسرعان ما أغذي الروح ،

بارتشاف معسول اللمى ، وللأقدار تسيرنا كيفما شاءت ، وحسبما أرادت . وهاك بيانها التالى . . .

عزيزى وكر عذرائى وزهرة حياتى ، وبلسمى وشفائى أخط بيمناى كتابى الصادق لما حوى ، وأهديك فى مستهله قبلة الوفاء لجبينك الناضر ، ورجوة الأخاء لوفتنا الحاضر . ففيه أسجل أسعد أيام حياتى ، وأسطر أزهى آمانى فى عالم الوجود ، فانى اليوم . أشعر أن السعادة تحتضننى الى مراتب الجوزاء فى قصر منيف شامخ البنيان . لنسعد سويا بلذة العيش ، وسكون الطبيعة ، فى عرار الحدائق الغناء ، واليك لبى الشارد ، وفكرى السجين .

أتلمس رجاء . فقد أتاحت لنا الفرص ، وسنحت لنا الظروف ، أوقاتا سوف نسعد فيها بوحدة القلبين ، فلقد وفقت فى هذا العالم . لأن تقضى الأسرة شطراً فى ربوع بورسعيد ، والسفر غدا . وسأبعث اليك بعنوانى وموعد لقائى .

حرقه ثم أمل

علام تنقضى تلك الأيام التى وعدتنى بمضيها إنها لأقسى على من ضربة السيف واصطلاء النار أترقب الساعة والدقيقة فى شغف وولع . وكأنها الدهر فاستحثه المسير مر اليوم الأول من سفرها وتلاه الثانى وأقبل الأخير يحمل بشرى وخير نذير . جلست أفكر فى قاعة منعزلة كنت أعددتها للتحضير والتدوين خاصة جلست فبدا استوحش القرائة وأضنق على الوجود ، ترى هل من رحمة الله أن وفقت المحبوبة (رجاء) إلى الصواب من الهدى وإنارة الطريق . إنها لتحمل عاما بأجل منطقه وما أشهى لفظه . إنه يشعر بالرجاء والتوفيق . وبينما أنا غارق فى بحر الفكر وانشغال الضمير إذا بأحد قرنائى يحمل إلى خطابا . من أول وهله علمت أنه من (رجاء) رجاء القلوب

وفوت النفوس وأمل الحياة . ففضضت منه الغلاف وبدأت أشفي غلتي وأروي أوامي . إنها الفرصة المرتقبة والوقت السعيد . ما به ؟ . به طلب سفري ومقابلتي إياها أحقيق أيها القلم المدون والقلب المسجل . هل رضيت لي بأن أكون رفيق الحياة وزميل الوجود . أبثك الغرام واستلهمك المحبة . جميل تلك الكلمات العذبة واللحن الرقيق . وأجمل منه أن أرى الطبيعة التي أشبهها برجاء عارية عن لثامها كاشفة لنقابها . لم يكن هنالك بعد . هيهات أن ألتقي بها ولكن اللقاء سيحل دون فالخطاب يدعوني لأجله . إنى لك منتظره الخامس في الشهر المقبل وساعة يومه العاشرة بمكان . . . وأؤكد عليك حضورك والسفر لفورك واجتناب التقصير .

ليلة الرحيل

حزمت أمتعتي وما شاء لي أن يرافقني في وحدتي

وربطت عليها بسوار من جلد وكان ذلك فى مساء اليوم الذى سأصبح منه على السفر وجلست أكتب كلمة طافت بمخيلتى فألهبت شعورى واستفزت منى الضمير. فمت لأتخلص من وزرها ولأضع عنى عبئها وبعدها باشرت عملية تخصنى فى سفرى إستغرقت منى وقتا فرغت منه فى المزيع الأخير من الليل. ومن ثم انتعبت الطريق الباشر إلى حجرة النوم لأقضى ما تبقى من الليل وان كان هدأ يسيرا. ولكنه له فضله واكتماله فى راحة الجسم واكتمال النشاط ولكنها الليلة التى لم أشهد فيها النوم. ولم أذق من لذة الكرى شيئا. فلقد حدث عقب قيامى من جلستى التى يممت وجهى بعدها شطر حجرة النوم أن رن بوعي صدى طلقات نارية. أضاعت منى السمع وأقلقت منى الضمير، وألهبت القلب، وأخذ الشك يدب إلى نفسى دبيب الجند إلى حومة المعركة فى غفلة العدو المقاتل الحادى، وسرت

الأحاديث سريان الدم فى شريان الجسم . فما استطعت أن يأتينى بالانباء إنسان استطلع عليها قبلى . فقمت من فورى بلباس النوم أخطو على عجل وبرفقتى أحد الخدم الذين أعهد فيهم الأمانه ومن ثم انجلى لنا الأمر واتضح سر المأساه الحقيقى . إذ أن أحد مجرمى البلدة أخذ يتحين الفرص ويستمهل الظروف حتى أتاحت له من لدن مطلبه ما يريد وواصل وشرذمته تخريب زراعة القطن بأحدى المزارع بعد أن أينع وأثمر . وهيهات حاول النجاه . فقد كبل بوائق الحبال بواسطة خفر المزرعة . واستدعيت رجال البوليس لموالاة التحقيق . وها نحن وذكاء ترسل أشعتها على الوجود وتوحى اليهم باستقبال يوم جديد .

بين مغانى بور سعيد

على ضفاف النيل فى ربوع «وبورسعيد» نخطو بين

عبق التفتح المتضوع . من زهرة الثغر الباسم وبرفقتى « رجاء » بعد أن أنصفت بوعد إحتفظت له بمكانة بين الحشاشة والأديم وجعلت للذكر والذاكر منه الشىء البعيد . والساعة أحس بين الفينة والفينة أملا يبتسم وجوا يعتدل . وسميا يفيض بالذكريات المؤنسه لله من ذراع التف فوق يمينى وكأنى أشعر أن ملك الوجود يصطحبنى الى الجنة . لأنعم فيها بدانى القطاف ومثمر عز فى الوجود .

حسناء فاتنه غيداء ساحرة . هيفاء نادرة يفتر وجهها عن أمل مشرق يحفنا ليس إلا رجاء يحبو علينا من حرقة الحياه . لها سحر الوجود وفتنة العشاق . فما أزهر ذلك اليوم وذلك الردح من الزمن . الذى أتيح لنا منه الصفو كاملا . نرتشف منه رضاب الحب . ونتبادل مناجاة الأرواح دون ثالث ، أو رقيب . بعد أمل حسبت أنه

حطم ودثر ، ورجاء ظننته الضياء . مرحى . . .

مرحى أيها المستقبل الزاهر . فقد أنبأت . بقدوم عهد سوف أرتضيه لنفسي بترحاب القول ، واحتضان وثيقة التوقيع . ولتكن بداية فهمك أيها المرهف بسمك جمال الخلقة . ونهاية علمك نحوها . خفر ودلال .

رشفة الحب

تمكنت وإياها الآن نقطع شوطا . ليس بالقصير منه على (بلاج) هذه المدينة طورا . وحينا نلتقي بساحة الطبيعة الفضفاضة . ونضطجع على الاعشاب والخضره . وافياف اشجار لم تلك ذات النمو الشامخ . فانها اقرب إلى القصر منه الى الطول . في جنة الثغر . وروضة المدينة . التي شهدت فيها ليالي ، وإياماً ، كانت ككؤوس الشهد المترعه . وكوب الرخاء المستفيض ورشفة الحب المدخر . . .

أفلا أيظن الداعى لذلك النطق . أنى على انحراف من قولى أو تهويل فى وصفى . أو قول لا يرتكز على حقيقة .. لا . ولكنها الحقيقة أسطرها بلباس فضى مزركش عارية عن المبالغة مجردة من كل دخل يريب الفكر . أو يتشكك منه الضمير . انى لأول مرة فى العمر . بعد أن تدرجت العقد الثانى منه . التقى بمثل تلك . فتاة . لها من الجمال ما ليوسف ، ومن السحر ما لموسى . وانى عند شكك بهذا القول أو صاحبه . تجدنى بين يديك . رمز الافصاح . وحجة البرهان . أقشع عن فكرك . سحابة السؤال المظلم . وأدفع بك الى ضوء المعرفة . بعد أن دونت تلك الحجج فى وضح النهار من يومى المنصرم . ولترجع الى محكمك . مثنيا أو ملوما .

القبلة الأولى

لاجرم اذا ان كتب ما يمليه الخيال . ويسموبه الفكر

من حضيض الوجود . وللعقل ما شاء أن يفسر . وللفكر ما يرتضيه شرحا وبيانا فالدقيقة الخمسين بعد الساعة الخامسة مساء . أودع على سلم البيت رجاء ، بعد أن أمطرتني بوابل من الفتنة التي تجتاز في الأفق طريقها الى السماء ، وأوحت الى بأحلام أخذت بمجامع القلب . وصولة الفكر وكأني حين ارتمت بين أحضاني لتطوق بذراعيها عنقي كي تسلمني قبلة الوداع . فكأني دون تورع عن نطق الحقيقة . وايضاح الصدق . شارب ثمل . فليس بيني وبينه . سوى حرمة هذا في شرع المؤمن . وحلال ذاك في دين الحب تغيب عني الصواب . واعترتني قشعريرة . وتملكتني رعدة أقلقتني الى عالم الخيال المحتشد باحلام الحب . وهوى العشق . وأخذت تعبث بي في عباب الفكر ، وميدان الذكريات . تقبلت منها باقة الزهر التي اهدتني منها النفح والأريج . ومنحتني منها الرونق البهيج . وها نحن والمساء

يبدل على الوجود حياة دكناء ريفية الطبيعة فى لباس ظلامه . أنتحى مسلك السكن ، بعد ان شكرت لها بمناى ، ونكست لها رأسى تكرمة واجلالا . وها آنذا الج باب اللوكاندة وأرتمى بين أحضان مهادها الوثير .

فى الصباح

تهيأت للنوم . وصور لى الخيال صوراً شتى ، منها المحزن والمثير . والمسرى والنضير . جاشت بنفسى أفكار مشرقة ، تلبيت تلك الصور وطرحت عنى آلام القلب ، التى برزتها يد الريب والشكوك ، وطرقى النوم لآخر موعده ، بعده دقت ساعة الحائط تؤذن بقدوم الصباح . ولاح غبش الفجر من وراء الستار . ومن ثم انجلى الكرى . صور الوجود . على طبيعتها الملتوية ، وهأنذا أدفع حرارة الشمس بجريدة الصباح ، التى أنهيت أخبارها وأنا على

فراش النوم . قد أخذت طريقى إلى الحديقة ، بعد أن تركت بالأمس « رجاء » موعد الغد . ولنطرح هذا جانبا وأقفل بالقارئ راجعاً ، أقص عليه حديث ذلك الصباح بينما كانت تحملنى رجلاى إلى ساحة الميدان لأقف أمام ساعته التى هى محل الضبط العام لكل ساعة خرجت على صاحبها فى التقديم أو التأخير ، وبينى وبين البحر مايقرب من خمسة أمتار ، أو مايزيد ، وإذا بصيحات تنبعث من أفواه الفتيان والفتيات ، تحمل أشنع خبر ، وأمر حديث ، فتقدمت صوبها ، على عجل أستطلع الخبر الذى كنت بعد دقيقة منه فى غضون الثائرين ، وحومة المتذكرين ، أفواه شاغره تستنجد ، وأجسام ثائرة تستغيث . تقدمن إلى تلك البقعة سابحات النهر وسابحيه ، فهناك مانأمل الحياة فيه

على شاطىء البحر

لله . نحن والكائنات طرا ، فها هى جثة تهبط إلى

قاع النهر الخضم . وتفور بين موجات البحر المضطرب ، تعالى نفس ذلك الحائر بين غضبة البحر . وضربة الموج . تعالى أواسيك حرقة القلب من أخصاء واقرباء لك ، فقد ذهبت بعقولهم الى حيث لا يرجع الصواب اليهم ، بل وعقل الكاتب أيضا . بعد ان تجلت سطوة العلم على العقول أفلا تكون تلك النفس الغارقة بين احشاء البحر وسوائه تلاطمها ضربات الموج القاسية . التى لاتشعر بأنه ابا لحسناء الاوهي رجاء النفس ، واجنحة الوجود احدى المنجمات تعالت صيحة بعد صيحة واخفقت القلوب ، وهمت العيون على مندمل لا يرقأ هطله ، واخذت يد النجدة تبسط راحتها . لتنقذ فاقد الوجود وماان حسبناه قد دون فى سجل الموت . ولكن هيهات أمل ان ينقلب لاصلاح صاحبه . وهأنذا وذلك الجمع ، نرسل النظرة اشهقها دمع يتقاطر . ومن القلوب دم يتفاطر . بعد ان اصبح مسجى على شاطئ

الخيل . وافريز المدينة . ليعلم من صاحبه . ومن ثم تحولت خلفي لرؤية صاحبة الموعد . بعد أن انفطر القلب من صدمة المحنة . فاذا رجاء تشير إلى في خفية . فتقدمت نحوها أحييها . وبسطت لها ماخص ما تجمع حوله تلك الأناس . وعدت واياها لترمي عليه نظرة البؤس والأسى فاذا هي جاثية صاخبة ، كمس الكهرباء لديها أو يزيد ، « أبي » بلى لفظها فقود النطق . وتغيب عن الوجود .

فجيعه

« أبي » يا هول الصدمة . وفداحة الموقف . يالغضبة الدهر وقسوة الوجود . أأبا لرجاء أنت . أيها المسجى . إنها الضربة القاضية . يالوهاية الخيال . وأضغاث الأحلام سدى ذهب الجميع . إنها رجاء . تفترش الأرض بجسمها البلور . دون أن تلوى على شيء . أو تقيم للوجود وزناً .

خف قدره أو ثقل . إنها تبكي بحرارة وكأن الدمع المنسكب في الواقع سهم تتقاطر من مقلتيها ، ولظى يتأجج من محاجرها ، إنها تبكي معقد آمالها في ذلك الوجود ، ورحب الحياة ، وأنا أبكي بنفثة المكلوم . وزفرة المحموم . أشجان وأحلام . وآمال وآلام هوني عليك يا رجاء . ما هذا ؟ فاني لك الساعد والعضد : إنها محنتي لا محنتك ، وصدمة تلقيت جل آلامها . ولا أقول أشاطرك فيها الحزن والألم أفلا يكون لك بعد هذا رجوة أو قول لوجه الله تعالى تلك الساعة أفرغ من قلبي مكانة ، لذلك المعنى لله لا للشيطان أقدم وجهة الخير : دعي عنك هراء الشيطان ، الذي يليه فلله كم صعدت الى الرفيق أنفاس فارقت الحياة ، إنها النعيم السرمدي فلا يزعجنك زاعج ، أو يسطو وسواس ابليس على عقلك ، تجلدي بالصبر ، وألقي عنك أوهام الخيال ، فأين منك رباطة الجأش وأين منك العقل السديد

رجاء الحزينة

تجمع رجال البوليس واسطف الجنود لحبس العالم . وفض جماعهم وبعد فترة وجيزة من الزمن . كان الطبيب الفاحص . بين طيات الصفوف . يشق الجمع الحاشد . ومن ثم قرر أنه كان محتبساً بالشاطىء دون قصد إنسان باغراق . وصرح بنقله حيث يقطن ذووه وأهله فسكنت بعد خطوات في غضون الشارع . أستعرض أول عربة لتوصيله وقد تم ذلك . بيد أنها كانت مأساة لها من الروع والدهشة مايثير في النفس اللواعج والأشجان . وفي القلب كوامن وأحزان ولأترك القارىء هاهنا . يتأمل الموقف بدقة . ثم نفصل جانباً من خط المسير

تحركت بنا العربة قاصدة المكان الذي عينا للسائق مكانه . ومن ثم التقينا بالأهل . تملؤهم الدهشة حزناً وجموداً .

فهم تماثيل شاغرة ، أنستهم المحنة صور الحياة ، الى البلدة تحملهم عربات هدة حيث يوارون هذا الجسد ، بعد أن ودعت « رجاء » بكلمة من العزاء . هطلت لأجلها الدمع الثخين . وشكرت لى ذلك الصنيع متوسلة الى الله أن يصفى الجو . ويسقينا من الشهب سلوى وعزاء والساعة أعود لأقضى الليلة . بين حنايا المدينة . أتأمل الحياة بنظرة فاحصة . ملؤها العبرة والانماظ . ساخطا على الوجود ناقما على صروف الدهر . التى لا تمهل المرء على ما ضم بين أحشائه نعمة أزاحت ستار الفقر المظلم . أو رحمة بددت شمل الشقاوة التعس . بانسان ضل من لدن الصواب طريقا

الى القرية

مهلا أيتها الحياة . لأستنفد فيك أملا طالما رجوت مناله . وصراما حلمت بخياله إنها ساعة حيرت منى الفكر ،

وأخلت فى التوازن حتام يضنينى الهوى حتام . وعلام يعذبنى الغرام بنار وجده . على فراش النوم تساورنى الريب والشكوك ويتملكنى الفكر فى حوار دائم . ونزاع مستمر . لم أعثر على لذة . أو متعة من أحلام الخيال المصورة للفكر ولقد تذكرت للساعة قول الشاعر الفيلسوف فى شأن الحياة العجيب

تعب كلها الحيـــاة فما أعجب الا من راغب فى ازدياد

ما أجمل عذابه هذا المعنى ورقته . له ماله . من اناقة وسحر بديع هذا اليوم الثانى لرحيل المأثمة - التى بين أحضانها نعمت « رجاء » وفيها نضجت حتى الساعة . وهأنذا أترجل المسافة بين المسكن والقطار وهاهو سلمه أرتقيه . حتى ألحق بها . لأسرى عنها من شجنها مالو ألمت وجهته لذبلت على عذب لها وغصن وحنانت تحت وطء الأقدام . وعجالة السائر . وأنى لها الصواب . وقد زوت منها نفحة

النبت . وينوعة الزهر . وحسبك من البيان ما يهدى عقلك إلى الحقيقة . حيث أنى التقى بها الساعة . لا رفه عنها حرقة النوى ونار الكبد . وكأنها شبح من هيكل ورموز .

تعزية واخلاص

استوى على المكتب . للعين الذى بعثت فيه . برقة العزاء اليها ترفية وسلوى .

عزيزتى . رجاء باسم الأخوة التى بينى وبينك . وما دعوتك بهذا إلا للعهد الذى رسخ فى الفكر سموه عنك من ترفع عن سفاسف الأمور ، وتفهمها . وانك لم تكونى طفلة فى حاجة إلى النصح والتذكرة . ولكنك الآن بعد أن قطعت فى التعليم مرحلة لا بأس بها . فقد زودتك الدروس بما يحيط به غيرك . فذلك شأن الحياة . الذى خفى

سره على السالفين . من ضلعاء العرب . وفلاسفة العجم وعلماء العصر الحاضر ، وكم تكهن الماضون فى هذا السر الغامض . فلم يصلوا إلى ما ينشدون من غاية أو مأرب فما حق لك بعد هذا إلا ان تكون منك نزعة الطيش . عارية مجردة . وعهدى بك نأى كل وسواس يجيش فى صدرك . أو يرتقى لك من فؤاد وختاما أضع قبلة الشوق على جبينك : الباسم الناضر . والساعة أرفع القلم بعد أن سطرت به . ورقة العنوان باسم خادمتها . « ثناء » التى كانت طوع اليمين لها ورهن الاشارة . فما من أمر لاح لها منه أنها تريده إلا وبذلت النفس والنفيس من أجله . وإن لاقت فى سبيله . قارس الكلام وغليظة القول . وقد كانت لها على الدهر عونا وسندا . ترفه عنها إذا ما تورد منها الجبين . فترد اليه نضرته وبهاءه . لذا كله اتخذت منها رجاء . صاحبة على الدهر تتحفها بما عز وطاب من أسرار الحياة النادره

على الجدول

على جدول السقاء . الذى قد رتمت جوانبه بفضاء .
وعلى شواطئه غرست أشجار خضراء مورقة . ليس لها
من ثمر ولكن لها ظل وارف يستطيع المار والجالس دفع
القيظ به . وضوء الشمس الملتهب . حين يلوذ بظلفه
أو يحتمى بجواره . مالهذا من نكران او جحود . وبالجانب
الأيسر حديقة الحقل المثمرة . بها أصص الزهر . ونبت
الأريج وعبيق البنفسج . فكأنى بين الخضرة والماء .
والزرع والهواء بين الفينة والفينة . أعبر ما بها من مسالك
وآكل منها الثمر وأشم لها الطيب . فكأنى لساعتى التى ترمقنى
فيها نظرة الحاسد فى جنة الآخرة . وربيع الحياة . أرفل
فى نعيم كليهما بلا حرج أو كلفه . إنها ساعة طيبة . أرتع
بين أحضان صفوها . . . ساعة زمن لم يعكر صفوها

شائب . ولم يكدر صلاستها نفور . وكأنى حسبت أن الدهر أعارنى سلم السعادة فى ذلك الحين . أرتقى درجاته وزهمت حين ذاك زعم الطفل . وحققت أحلام الخيال وما بالبلهنية الانسان وسعادته . دوام واستقرار وإنه لمثل الأول لزوال الجسم وفنائه . هو الثانى فى نظيره لفض هذه الأوهام . والأضغاث من الاحلام . فلا عجب إذا آن أوفى حتفى . مقابل الساعة الشهيمة . التى خلت سر مدينها فها نحن نستقبل صدمة إثر صدمة . ليس فيها لين أو رخوة . بل لها صلابة السيف الذى يسلب من الجنان صوابه ومن الفكر إدراكه ورشاده

أسرة كريمة

أرهف وعيك ، والق إلى بسمعك . لحديث التالى حديث فتاتى ونشأتها وصوراً فوتوغرافيه للماضى الفريد

الذى ترعرعت بين أحضانه الى أن شبت عن الطوق، وهى بزيها المنصرم . لا تحيد عنه ولا تميد . .

تعيش رجاء بين أسرة كريمة رقيقة الحال لم تعرف سوى المدنية البحتة والديمقراطية الخالصة . التى تستند على أساليب العلم . بين جل ذويها المتعلمين ، انها ذات غرس نبيل يتضوع عفة ، ومناقب طيبة سامية ، ومجد يفيض أبهة وجلالا ، وقفت على حياتهم الماضية ، فاذا هى حياة زاهرة ، عامرة بالاحداث الشيقة ، حافلة بالعظيم منها وقد سجل لهم التاريخ من صفحاته أسمى الذكريات وناصع صفحات المجد التليد ،

أما هى فعذراء فاتنة ، وخردة متخفرة ، لها ظل خفيف وجسم نحيف ، يشع من قدها أمل الحياة الباسم ، ويشرق من جبينها لمة القمر وسطعة النجم ، على محياها صورة للوجود مصغرة لها شفتان خلع عليهما الجمال سحراً وثغر كأنما

يلفظ بنفثات هارون ، يتكون شمل هذه الأسرة الكريمة من أم رءوم شملت بحنانها ابنتها ، وأب نزح من الوجود لعام خلا من قبل ، وأخ فى الرابعة عشر من عمره ، يتطق وجهه عن مغامرة ، ليس فى كفاءة الرجل الذى يعبر موجاتها ، ويتخلص من ورطاتها ، ولكنه سوف تهبط به تلك الى مرتبة الحضيض ، بعد أن تتفتح له الحياه عن زهرة يانعه ، وثمرة لها بلهنية السعادة

رد على رسالة

وهآنذا أسطر كتابها التالى

اليك أملى البراسم أحرر صحيفتى ، فقد تلقيت بكل ترحاب ، ونفس مسروره كتابك الكريم ، الذى كان له فضله فى ازاحة الغمة عن نفسى ؛ وأثره فى قمع ألم المحنة ، التى نزلت بساحتى ، لا رثاك انسان ، ولا عزاك

مخلوق ، ولك منى شكر الله وثناء الرسول (الند) انتظرك بالحديقة السالفة الذكر فى أولى ساعاتها الماضى بينما كانت الساعة الخامسة مساء ، بين الأصيل واحمرار الشفق ، قمت لأترجل حديقة المنزل ، وبينما ينقض الله أمراً كان محتوما واذا بخادمتى تنذرنى بخطاب قادم فاختطفت منها الخطاب وأزحت عنه غلافه ، وانكببت عليه تلاوة فى شغف أشبه بغذاء ساغب ، أو ارواء ظامىء ، وما كنت أتوقع أنها ستنزل لارادة انسان ، بعد رزء والدها . ولكنها الانسانة التى عهدت فيها مرونة القول . ووخز الضمير ، لا كمن درعهن الخمار ، وسيفهن البكاء ، فكانت لى بعد أن وقع نظرى على آخر كلمة منه ، وبعد أن فرغت من ترتيله ، سعادة العابد بآخرته وأمل الحج فى مغفرة ذنوبه وأخذت كلما أنهيته مرة ، اعيد الكرة من جديد حتى قطع النهار وعسعس الليل ، وأخذ الترب يترجل طريق كوخه والغنى

ينتهي حبك هرمه وايوانه، ويتسامر ماطاب السمر، ويأكل ما نفس عنه ويذر صنفه، هذا الى أن شعرت بالنوم تدفعني سكرته ونشوته، فيممت وجهي شطر حجرة النوم لأرتمي بين أحضان الكرى، ولذة الهجوع وما هي إلا لحظات، حتى أصبحت في سباة عميق

لقـــاء

في خفر ودلال، وحشمة واكتمال، في خيلة الطاووس في سمر الحديث وعذوبة القرآن، تترجل سويا افريز الشارع في خفة المسرع، واتزان المتئد، افلا اكون لتلك الساعة فريد الوجود، وعصام الحياة، انها النظرات للصوبة الينا كالنبل في سداد سهمه، والقوس في احتياج مصيبه؛ فهل أقنعنا أنفسنا، واستجبنا عن الأنظار، حتى نكون في ستر عن حدق العيون، ورموق الأنظار ولكن المتعة في الترجل، لا أن تقطع العالم في شهر

الآن . على مقربه من سور الحديقة ، تفترش الخضرة والاعشاب ، اعى منها قصة الحياة المؤلمه ، لمصابها الاليم فتتسابق دمعة حارة ، من مقلتيها ، ثم أخرجت من حقيبتها منديلا عليه طلاوة الذوق المتخير ، وكفكفت دمعتها الساقطه على خدها الناضر ، وحزق نفسى أن أراها كما هى ، هدفا للأوهام ومرتعا للهموم النازله بها ، وأستصعبت عليها محنه أكدت لى أنها سوف تبقى طيلة الحياة رازحة تحت عبئها الثقيل ، فوجمت لقولها هذا ، الذى أخذ بمجامع الفؤاد ، وشرد منى اللب والجنان ، وابتدرتها قائلا ، يا رجاء ما لك فى هذا من إرادة ، وأود أن تكونى عند حسن ظنى بك ، انسانه كامله ، رجاء . انك بعد مهلة ستكونين ربة بيت ، وعائلة أسرة ، فخبرينى بربك ، كيف تشقين طريق الحياة الصالحة ، وهذه الاوهام تتبعك الى مالا نهايه ، فاطرحى عنك ما يحتاج بوجدانك من ريب وشكوك

تحت ظلال الصنوبر

جميل جداً ما أسترعى أنظار هذه الجموع المتدفقة على رياض الحديقه ، مما ابتكرته يد بستانى هذا الروض ؛ فقد اتخذ من أصص الزهر باقه ، ضخمه الحجم يكاد يفرش ظلها مترا على عرض الطريق وطوله ، فجعل من تلك الباقه اعجوبة العابر والقاصد ، على الرغم من جذب القلوب اليها لفحصها والتكهن فى أمرها ، وكأنها مغناطيس ، تربع على عرش القلوب ، وامتلك حبات الأفئده ، وقد اتخذنا مجلسنا بالقرب منها ، فهلا يكون ذلك المشهد احد مناظر الطبيعة الخلابة ، ومظهر طفيف لم يكن يخرج عن نطاق محدود له ، فيما عداه من الأخاذ بالعقول والالباب ، فها نحن نكتشف الطبيعة بأسرها حيث تلى علينا من سماء الحياه آيات البهجة متكلمة بأفصح لسان ، فأنى لمعترض يستوقفنى المقالة

أو يأخذ على عبارتي . حين أقول ، تحت ضوء القمر المتلصص لأفياف الأشجار ، وأغصان الصنوبر ، حق بأن أفخر بنفسي فأشمخ بأنفي ، فأنا أسعد شخصية على أديم هذه البطحاء ، واعز مخلوق بين أطباق السماء ، وأوفق انسان حين أرنق من الفضاء وكيف لا .. .. وحسناء الوجود ، وثغر الحياة الباسم ، تطوق عنقي بذراعين لها أكتشف بضوئهما ملكوت السماء

الى القصر

إنها العجوز الشمطاء ، والفانية المرجاء ، والطاغية الشهوبه تتقدم بخطوات بطيئا الكهل ، الذى قد وخط المشيب لحيته وشاربه ، وصبغهما الدهر صبغة الكهولة البيضاء وقد تقدما لقصد اخراجنا من الحديقة ، بعد أن تبينا أنهما حارسا الحديقه فلله أنتم بغدق الجزاء عليكما

من حيث تنزل الرحمة والقسوة ، بعد أن أوصدنا دوننا باب السعادة ، التى كنا نرفل بين أحضانها ، ونرتع على جوانبها دون رقيب نخشى منه الصولة ، فنحن للساعة التى نختلس منها الوقت ، نرتشف للوحدة التى يمتزج فيها اختلاط الجنسين ، فهى اذ أشبهها بنشوة الحب ، وسكرة الخمر لها العذابة والتيه ، وأخيراً لم نجد بدا من أن نعى أشارته التى كانت ممزوجة بالرفق ، مشبعة بالاكبار لنا ، ونهضت وأياها من جلستنا وقوفا ، والقينا على الرجل كلمة وداع لاح لنا منه ، أنها نزلت بساحته ، وعشت بين وجدانه فتقوس في انحناء الكهل ، يعلن تحيته حيال الشكر والثناء وانصرفنا نترجل طرقات الحديقة ، بين وئيد الخطى وهرولة المنفرد ، تربط بذراعها على معصم يمنى ، وترفرف على هامتها ، سعادة الحب ، ورفاهية القصور ، فأثلجت تلك الساعات صدراً طالما هب يفتش عنها فى الاكواخ

والقصور ، وينشد الحب من حيث ينبع ، وها قد أفسح الزمن لى مجالا لأستقى منه الهوى بين ردهات فنائه وساحة ميدانه

ضيف كريم

ارتقى صباح كل يوم ، درجات السلم الموصلة إلى حجرة الاستقبال ، ومن هناك استقرىء الأخبار وأترسم حوادث اليوم الجديد ، وللحظ الذى يحكى بقساوته كل انسان ويتبرم منه بملء شدقيه تنوها ونطقاً . وقد قمت ليومى كالعادة ليس هناك ما يعكر الجو أو يكدر صفو الحياة وماهي إلا لحظة قصيرة حتى كان بين الحجرة ضيف لأول مرة التقى به من زمن بعيد ومن ثم فقد أغفلنى القيام بالواجب نحوه اطلاعي على الصحف الصباحية وسررت بلقائه رغم مشاغل الفكر الدائبة ووساوس القلق ، وأخذ

يقص على تاريخ حياته ماطورا أهش له وحينا تظهر على
معالمى سيماء الحزن والجزع وظلمت حجرة المجلس غاصة
بالجالسين ساعات اليوم الطويل وكان الحديث حينئذ أشطارا
مجزأة حديث الجار لجاره في مختلف القصص ومتباين
الأحاديث ومن ثم قد استسمحت الضيف فى الانصراف
قبيل الأصيل وبعد إلحاح كثير فى بقائه وقضاء تلك الليلة
معانزلت عند إرادته وودع شاكرا تعتلى تقاسيم وجهه
سيمة المدح وعلامة الوقار والتبجيل ومن هنا بدا لى عن
شخصية فذة المقدار وكياسة هى من نوعها في غضبة الماء
حين يكتسح الصخور والوديان ويأتى على الفلاة والوماة

إلى جنة الخلد

اليوم كالأمس أرفه عن الفكر بما تاق إليه ، وهفا
لمسامرته ؛ وما ألذ عندى من أن أقطع الوقت متصفحا

لكتاب أو قابضاً على زمام صحيفة وعلى هذه السليقة أستطيع أن أداعب الفكر بما يسمو به عن نظرة فى مكروه تلوث القصد وتثلم الشرف الطاهر . اللهم إلا النظرة التى ترسلها العين وليس لها قصد المنكر أو بغية لمكروه

وبينما أنا بين مخالب الفكر تتنازعنى أحلامه : ووسواس القلق يساورنى خياله إذا عتمهد الصحف يتقدم إلى بالعدد اليومى من جريدة الأهرام يمكنى زمامه ، فأرسلت العين فى شغف لالتقاط ماخفى بين صفحاته ، ولله فهى نظرة ألجمت اللسان فى حينه أخرس لاينطق ومزقت نياط القلب فكانت لوعة على لوعة أثارت فى النفس كوامن الأشجان وألهبت بسياط الحزن منى الوجدان والجنان يالها من جملة وقر الوعى لها وانثنى عن سماعها الفؤاد . إنه نعى فقيد عزيز حمله عدد من جريدة الأهرام . واليوم أقرأ لزملائه تعديد مناقب ومآثر . إلى جنة الخلد حيث يحتضن

رفاتك الطاهر ملائكة الفردوس . إلى سرمدى النعيم وخلود الرقدة إلى أبد الآبدين . إلى جوار ربك فأنعم به من جوار وملاذ فقد أوجزك الدهر مرحلة الطريق شفقة ورحمة ، نعم

نوائب الحياة

أجل فليس بالهين أن أتصفح الخبر الذى ما كنت أتوقعه على حين غرة وخلسة من الدهر . انه الدهر يتأول لفظه إلى رموز عسيرة الحل ، هويصة الفهم ، وطلاسم لن يثبر لها من غور إنه الوقع الأليم الذى ينسيني الوجود وحتى نفسى أيضاً . أقف لساعتى منهوك الرأى سلبنى الدهر قوة الشباب وجسارة الرجولة مذهولا أتوكأ على عصاى بعد أن خارت منى القوى وأمسيت في جسم الرضيع وقت تجمعى وجعا الأبله المجنون . إيه أيتها الحياة إنك إناء مفعم

بالحوادث ملىء بالكوارث والعبر عطريهم بالحزن مثل ماعطريهم بالسقاء فوا عجبا لسر منك تخفى بين طيات الابهام والغموض فالك من رأى تستقرين عليه وهيهات أن يطيب للعاقل عيش بالجوار منك أو بالهنية لرفقتك وها أنذا للساعة الأخيرة أستطى صهوة الجواد وأنطلق به فى سرعة الوجناء أومايزيد . قد كان الجواد يطوى المراحل كما تطوى البرق معصرات الغمام فهو إذا أسرع من رجع الصدى وكان بينى وبين هذا القصد يوما أو بعض يوم بسفر أتانة أو ماشا كلها ولكنها النعمة الفريده التى لم تكن فى متناول الجميع ألا وهى عدة الحرب « الجياد » له سرعة البرق ووميض البصر ، وإذا بى بعد برهة بين طرق القرية أسأل قاطنيها أين وجهة بيت ذلك العنوان فكانت منهم إجابة مقرونة بدلالة ولاح لى منهم نضرة الخلق ، ودماثة الأخلاق

غضبة محب

تقع جلستي بعد أن تبوأت مقعدي من السرادق بالجوار من شاب له قصة دامية في وحشة المنكر الجارف قد طعنه الدهر بها فجلاء بين أحشائه وسويداء قلبه. هذا الشاب عريض المنكبين ممشوق القوام بين الأناقة والبساطة والسذاجة والاستقراطية بدل مظهره على ثراء الأغنياء واتراب الحال. وكان الصديق الأول لهذا الراحل الكريم.

أخذ هذا الشاب يقص على أحاديث مفقدة للصواب ومشردة للعقول والألباب واستطرد في مستهل عبارته بمقدمة مقتضبة وضح لي فيها قسطا غيرا خلسة الجنس اللطيف وسحره للعقول وفتنته للألباب، منها انجلى لي أنه موغور الصدر من تلك الوجهة إلى المدى الذي لا يتصور منتهاه، كان يتكلم بحرارة ملؤها الحنق الصارخ على دمامة

الخلق فى ذلك الجنس اللطيف ومدى تهوره البعيد . وكان أول دليل أعتصم به في حجة البيان وإقناع السامع قول الله تعالى « إن كيدكن عظيم » صدق رب القول من لدن هذا البيان إنه لأبلغ فى الدلالة حيث إن من أبرز عادتهن الكيد والتحايل والمكر . تصور أيها القارىء الكريم أن كان من شدة خوفه فى غصبة الريح الزبون . وموجة البحر المزبد فى حديثه الممل القـــاسى فكان يتنفس الصعداء كالضرغامة العادى وأسد البوادى حيث إرتطم بما أفقده الصواب . وأقفله بحنفى حنين

مجاعة خلقية

هون عليك ياصاح تلك المخاوف واطرح عنك أوهام الخيال .

ولاتقف زلات العباد تعدها فلست على هذا الورى بمسيطر

فهذا شأن الحياة اليوم . كن وما يعنيك فانها وان كانت رفيقة الحياة وعشيرة الوجود فان بينهما من أسرك شيء . ولن نباشر منه الصعب يوماً ما . تفضل أسرد على حديثك كي أتخذ منه عبرة المستقبل للعمر الجديد : لك ما شئت أيها الضيف الكريم لأقص عليك إذاً : إنها قصة امرأة خانت زوجها فأساءت مني العشرة والصحبة . لي من العمر الثلاثين قطعت منها مرحلة الطفولة بين حنان الأمومة وعطف الأبوة ، حتى العاشرة . فزج بي والدي إلى التعليم الابتدائي كنت فيه النابغ الأول للعام بعد العام دون أن يعترض طريقي ما يغيم على صحاوة الجو وبذلك افرغت مرحلة التعليم الابتدائي وفي إبان العطلة الصيفية فجعت بوفاة الوالد الذي كان ولا ريب عماد البيت وركن الحياة العتيد ومالي من أخ أو أخت ترد عن والدتي وحشة النوى حين ألتحق بالدراسة أو تهجرها من الحديث ما يرفه عنها ألم

الوحده ووحشتها. فاضطرتنى تلك الحالة إلى أن أمتهن الفلاحة بالضيعة. ومهدت لى الطريق والدتى حتى عبرت جله وأدرت دفتها على أحسن حال وقد درت علينا الزراعة الرزق الغمير وأعارنى الدهر عوضا عن سلاح التعليم سلاحا أقوى وأشد بطشا من لدن الأول بكثير وأصبحت فى الحياه لا نكرة ولا إمعة. أقرض تلك الشركة الآلاف وهذا اليمك نيف المليون حتى لمع اسمى بين الأعيان كالقمر بين النجوم ليلا وأخذت أتدرج على سلم الرقى حتى نضجت فى نضرة الشباب ونبض فى عرق الفتوة وعن للفكر آمال وأحلام وتحول مجرى حياتى الطبيعى وتوجست خيفة من المستقبل. وفى نفس الوقت الذى كنت أتشاءم بقدومه سمعت فديد أنات محتضر لقيم فى بيتى فسرعان ما عدوت نحوها أقتفى الخبر وأترسم هاتيك النفثات فاذا بالوالدة تفيض بأنفاسها الأخيره فكنت منها قاب قوسين

أو أدنى . يا لها من صدمة أعنف من الأولى أولتنى الغيظ والقنوط وعلى هذا فقد غاب عنى برحيلها الصواب ولعبت بعقلى فتاة إن لم تكن من شياطين فهي من زبانية الجحيم . نزلت بى إلى ما دون مواطىء الأقدام والحضيض وأطفأت شعلة الشباب الضاءة على جوانب السعادة ومن ثم أعلنت انفصامها عنى بعد أن أمسيت صفر اليدين مالا وشبابا وعزة وجاها وها أنذا أكف عن الحديث برهة تتأمل فيها نحس الظروف ومجاعة المرأة الخلقية

حيرة بين الخوف والأمل

هيمن حديث الشباب الأخوى « كمال » على نفسى وسيطر على وجدانى ومن هنا كان له أبلغ الأثر وأجل الفضل فى تقويم الخلق وتدعيم الأدب فى نفس النشىء والناشىء وكان لى منه وجهة الحذر والتحاشى وإنه القصد

السيء الذى تنوى به كل فتاة خليعة وتنطوى عليها سريرتها الملتوية كالطريق المنعرج ولقد انزوت تلك الفكرة باحدى زوايا سجل الذهن والفكر وجعلت مكانها للمستقبل المرتقب سترا وخفية أرجع اليها إن ساور العقل منها ريبة أو عدول .

وقلما تجد بين طيات الدهر إلتواء . هذا إلا إذا تكهن فى أمره الفاحص وحدثتنى نفسى أن أهمل هذا المطرق وأنزعه من الفكر صورة وخيالا ولكن شيطان الهوى بديدنه ميال إلى ماتلذ منه السماعة وتندم عليه الحقب الطوال وتواق إلى الهوى ما أمكن . حيث الهوى من نزوة الشيطان ما ظعن منها وما قطن فى رحلة أو استقرار فعلى سعة الوجود ورحب البسيطة فهى أضيق فى عينى من كفه الحابل لا أجد بين حناياها من فرجة تم إلى الانسان سعادة كاملة إن ازدهر منها شطر مثل الآخر

والحياة فى لهوها هى فى الواقع نضارة أيكه إذا اخضر منها جانب جف جانب فأنا الآن فى حيرة الشاكل وعلة الساكن تترى على الفكر صورا شتى تمتزج فيها لوعة الأسى بالأمل المشرق .

ريب وشكوك

لليلة العشرين من الشهر الهجرى حيث يتأخر بزوغ القمر ويتغيب أفوله حتى غبش الفجر ولمة الصباح . فها أنذا أشهده لآخر لحظة من وجوده . فلله ما على البسيطة من موجود وكائن يسبح بحمده إنه الأذان التى توجل عند ذكره أفئدة الصالحين من عباده ويأخذ منهم بالعقول والألباب . أرى هل أعذب من هذا شىء يهز المشاعر بقيثارة ألحانه وشدو أوطاره . ما لأحد أن ينبس ببنت شفه فسبحانك اللهم لك الهواء والماء والطير والبطحاء

والسماء والفضاء وما بينهما وما تحت الثرى، فانى للساعة التى أستقبل فيها ذكاء بأشعتها التى فى ضوء الذهب أستقبل فيها رسول « رجاء » تحمل بين رقعتها أعذب الألحان ورخامة الأصداح ، يتضوع منه شذى رشاقتها ، وعبيق أناقتها إنه يسيل رقة وعذوبة، وينضح بالزهور والرياحين لشم الانوف من الطراز الاول . يالها بها الوعد والوعيد والمرونة والصلابة والرعونة والرزانة مالها ؟ قد تحول بها الزعم إلى مجرى جديد لم أعهد له من طريق : إنه ولا شك سيطرة الريب والظنون جعلتها تحدو بما خفى بين أستار الأحياء وطيات الاحجام ، لا معن النظر وأوجه الفكر إلى الغابر التليد على أجد فى مذكراته ما يكشف لى إبهام المسألة ويطرح عنى ألم الظنون . أو عساه من إملاء الخيال الى قصرها

جميل بك من فتاة كريمة حين تكتب إلى أعز قرناء الحياة

وندماء الوجود حيث فيه يمتزج العطف بالحدة والسعة بالضيق إنهما تشكى مدى تجاهلى لدى مرضها الذى نامت بعبئه . . إنه الداء العضال الذى حمل عليها حملة شعواء ليس لها من نظير . فقد تركها عظاما مخره . وقد أفل ضوءها وذبلت نضرتها وتوارى جمالها وراء إهاب شاحب وانتقع لونها واصفر منها الجبين . فكنت حيال ذلك مجيبا دون تردد . ولم أجد بدا من أن أكون ظهيرا على قولها وحققت منها الرجاء وأخذت أشرع فى زيارتها بيد أنه كان من السهل الذى حفزنى على الاقدام وقبول الاجابة ما كانت فيه من عزلة وانفراد حتى لا تكون هناك فى قلب إنسان ريبة أو شك وترسمت مقطنها الذى لا يبعد قليلا عن مسكنى اللهم إلا عدة منعطفات يسيرة تكاد تهون فى نظر الكسول ومن ثم تصرمت الدقائق والثوانى دون أن أشعر بارهاق أو ملل حتى هنالك . حيث أقف تحت

نافذة إحدى حجرات الدور الأول وأعلنها صغيرة فى ستر الخفاء فاذا الخادمة بين يدى تكاد تطير فرحا وجزلا أو تكاد تحتضنى إلى حجرة سيدتها فى شغف وولع . وسارت تفسح لى الطريق بهدى القنديل الكهربائى حين تضيئه حتى كنت عند رأسها فحاولت القيام ولكنى أمسكت بها حتى لا يضنيها ذلك أو تتكلف دون هذا مشقة

« رجاء المريضه »

كان أول حديث ابتدرتنى به تناول المرض فقالت « ولقد أطفأ عنى هذا الداء العضال سراج البهجة وأفقدنى زهرة الشباب وحطم دونى آمالا جساما كنت أعددت الشروع فيها قبل مجيئه ساعة أن كنت محتفظة بكيانى وها أنذا بعد أن أصبحت جلدا غائرا وجسما مرهقا أرهف منى الحس واعترى شمسى أفول وزهرتى ذبول . أتقدم إليك يا عزيزى

بتحية خالصة ملؤها الاعجاب والتقدير فقد نزلت عند إرادتي رغبة في الصالح والقيام به فأشكر لك هذا الخلق وأحيي فيك تلك الروح الكاملة والأريحية المطرة المتقدة وأيم الله وجلاله لتعلمن أن زيارتك هي التي نجع بها الداء وهي باسم الشفاء فلا يريبك ظن له وهم الخيال وشك به فقر الحبال ثق أنها بعد الأفق عن التهويل والمبالغة وأيضا فليست من نسج «الخيال» فضطرتني حيال ذلك أن أشيد لها من مكارم الأخلاق صرحا شامخا وبنيانا شامخا ومن الاطراء والاشادة بمكانتها بين الناس ما يجل الذكر عن حصره في نطاق. وأخذت أسترسل في كل ذلك بين الفخر والمدح كهطل جارف وسيل وادق لم يرقأ نضحه وجعلت لها من الفخر والثناء سرابيل بها أناقة الملبس ورشاقة الصوف وظرف الحرير وكنت في كل هذا أستلهم من الخيال لهذه المعاني صورا متباينة وانتقلت من هذا الى

تحيتها التي قدمتها إلى . فكانت أنموذجا يهتدي به الفاحص إلى تحليل شخصيتها تحليلا دقيقا يفوق تحليل الأشعة دقة . فقد تجلت فيها أناقة الظرف البديع .

شقيق رجاء

لأعود بالقارىء ثانية حيث يقدم « نعيم » الأخ الفريد لرجاء إنه شاب في الخامسة والعشرين من عمره قطع فيها مرحلة التعليم وخاض فيها عباب الطيش الشبابي الشارد . اكتملت فيه صفات الرجولة وتجلت فيه عبقرية الأديب يتكلم بلسان العربية الأفصح توج ذاكرته بأفكار يعلم الله مالها من مدى وصور قاسية من أحلام الخيال في ضربات النهر الخضم . يحمل « نعيم » عزيز « رجاء » ومعقد آمالها ومرامها المنشود « بكالوريوس التجارة » . إذا فقد تسلح هذا الشاب بما يكفل له راحة تامة بين

المجتمع . ويرى له مستقبلا زاهرا يفتر له عن أمل أبلج الضياء . وضاح الاشراق هـذا ما يميه الطفل والجنين . فلا حاجة لايضاح موضح ولأقول تكملة الحديث وتفسير الموقف انتبين جميعا الحقيقة .

تخرج هذا الشاب من الجامعة وأخذ يتحين الفرص المواتية للالتحاق بالوظيفة فانه السبل الذى سيرتزق منه إن ساعدته الظروف وصفا الجو أمامه ولم تعترضه عراقيل الحياة الثائرة وأخذ يتجه صوب هذا البيك الموظف وذلك العلم من الأعيان ريثما يوفقه الله إلى رجل له فى الاصلاح يد فى الخير مرسلة بيضاء فى سجل الاحسان . ناصعة فى صفحة الخلود . فييسر له من لدن منشوده ما يريد . ولكن الحظ أخذ فى معاكسته ما يربو على العام وقد تمرمت أيامه سدى ودون جدوى ولله مصير الأمور وبيده وحده زمام العواقب

أوهام ثم بشرى

ثم « نعيم » الحياة وتسرب الملل إلى نفسه فى حدة سيل العرم وعانى من الأفكار المصورة له المشبهة بغلظة الحلق الوغر . ما حياله طأطأ الهامة ونكس البصر وأخذ من أنظاره المصوبة إلى السماء عزاء وسلوى . يهون بها على نفسه الأحداث واللواعج والأشجان التى نزلت فى قلبه منزلة الأسى الجارف الصارم وخيل إليه الوهم عاذج فى صورة الألم واختلجت بنفسه الهواجس والأوهام ظل على حالته أياما كان يرمق فيها الدهر بنظرات السخرية والشذر وقلما كنت تجد منه ثبات الرصين وعقل الرزين حتى أعماه الزمن وهدم آماله وهبط به إلى مستوى الرعاع فى محيط مجاوريه . ومن هنا زودته الحيـــاة بخبرة فاقت دروس المتوسط والعالى وضاعفت إلى العقل إتزانه ورصانته .

ومسحت عن مآتيه سنة الكرى . وبينما هو على هذه الحال يقلب الطرف بين صور الوجود وصفحات المستقبل . إذ بخطاب يدعوه إلى الحضور فورا فى عنوان حدد له . حيث من هناك يتصد به إلى العمل المنشود . فكانت أول بسمة للدهر يعيره إياها وثانى مأمل تفتحت له الحياة عن زهرة يانعة شوف يستنشق منها عبير الأريج ونفح العطيران .

حانت تلك البشرى من نفسه مكانا رحبا كان لها أول ملعب حيث توجه عقبها دون تروٍ إلى هذا البيك الذى سوف يجثو على ركبتيه له سجدا وبكيا فى ظل هدى عنوانه وتحت ضوء توقيعه

نعيم يرحل إلى مقر عمله

أستنشق «نعيم» هواء اللذة وطيب الحياة . وازدهر منه الأمل ، وغمرا فيه الرجاء . وسرعان ما قوبلت تلك

الدعوة بالترحاب ، وأفسح لها صدراً طالما أحتسى كأس
الفاقه والعسره ، وجرع كوب الذل والترب . فكم لذ
بها ساعة أدمجته في المهنية العمل ، وسعادة الوظيفة ، وأسرع
ينفذ تلك الرغبة الطيبه ، ويشفي منها أوامه ، وأسعفته في
اعداد لوازمه خادمته ، ومن ثم أخذت الأسرة في توديعه
وأشارت الأيدي له ملوحة بالسلام ، بعد أن صعد القطار ،
وانصرف الجمع الى حيث يستقر بهم مقر الأمس والغد .
وواصل القطار سيره ، يطوي الأرض . كما يطوي البرق
مسافات الغمام . ومن هنا كانت المدينة التي سينزل بها
قد قربت ، فأخذ ينظر حاجاته ، حتى لا تقعثر عليه عند
النزول ، فعجب لأولى نظراته ، ودهش عندما تفقد .
حقائبه الثلاث فوجد احداها ، قد تغيبت عن بصره ،
فأخذ ينقب ويتساءل ، فلم يعثر على ضالته . ومن ثم فقد
خفيت تلك الحقيبه ، كما تحجب في جوف الثرى جثة الميت

عن الأنظار ، وما فكر نعيم بعد ذلك ، أو رجالها من ظهور وأستمر عن هذه السرقة ، أستسرار الأديب عن هفوة الجاهل المظلم البصيره ، ورجا الله أن يسلمه من هذه الآفات التى تجتاح فى وضح العربة سرقة اثر أخرى . وعاق للركاب ، فى عذوبة من كلمه التى يلذ لها السامع ويطرب ، أحاديث خففت من حدة أناس تجلت فيهم ، بوضوح عفاف الامراه

منة بار

ثلج من صدر لنعيم ، وطابت له الحياة من ثمرة يانعة أرتشف منها الرضاب وهش قلبه ، لسعادة أكتشف عوراة الوجود ، طيف خيالها وحقيقة مستقبلها ، فهنأ نفسه بتلك المنة ، التى ملكه الدهر زمامها ، وهبة منحه الوجود إياها ، ولقد ضاعف سروره ، وزاد من جذله وفرحته

مالاقاه ، عند ذلك الرجل الذي قد تذرع قلبه بالايمان ، وتدرع على جوانبه خضرة الكرم والسخاء الحاتمي ، فلقد اكرم وفادته ، وهيأ له سبيل رزقه ، وانتشله من براثن الفاقه الملتهبة الأوار ، رغم الهواجس ، والأقلاق التي كانت تساور فكر ذلك الرجل ، اذ وهبه الله طفلا . بعد عشرين عاما ، مرت عليه زوجا عقيما ، وهو بين ذلك الطبيب ، وطورآ بين يدي هذا الكاهن ، يتصفح له حوادث المستقبل القابل ومن ثم ، فقد وهبته الطبيعة طفلا وليداً بعد أن أعياه ، دهره العشرين عاما .

فمكفا بربيانه وينشآنه ، تنشئة هي من نوعها صورة فريدة لم تقع لوليد قط ، ولكن أزمة الدهر ، واحن الحياة لم تمهله في عداد جيله ، فانحنت تحبس ذلك الرزق ، وقد تم لها حتفه رغم انفه وهو بعد ما دون العقد الأول ، وها هو يضرب الحائط براحته جزعا وتفطرا ، وما ينسيه محنته

سوى الاصلاح الذى يتقدم به الى الخلق بكل قلبه وجارحه توجه نعيم الى الجهة التى رسمها له بلفظه وفاسه حيث يعمل موظفا باحدى مصالح الحكومة فى مدينة (الفيوم مأمورا للضرائب) فشكر له تلك اليد البيضاء، شكراً حاراً تجلت فيه روح نعيم، ودماثة أخلاقه، واعترافه بجوه بجميله، وقد تعهد له ذلك البيك، بأنه وان شاء الله، سوف يعمل جاهدا ليكون فى القاهرة، مدينة الترف والسلام.

صاحب اليد البيضاء

أستقبل نعيم، حياة جديدة ملؤها الأشراق والزهور ضربت بمجامع قبضتها شمل الأملاق والعيله، وأنارت حبك مستقبلة فى ضوء قنديل الكهرباء.

للفقراء أنت أيها الرب الكريم، تأخذ بيدهم الى

جوزاء الأفق وتنصفهم ان رغب عنهم موزعوا الأنصاف ،
ورحمة أيها الصلف المتغترس ، فهلا خشيت الله فى سمائه
ورحمت فى أرضه عبده ، لا ، فتسلق الى ماشئت ، وتعمق
حسبما تابعت حقدك . . .

بهذا أو بمعناه تابع نعيم حياته ، يرفع بين الفينة
والفينة ، أكف الضراعة ، عارية عن كل شائبة مجردة من
دنس الرياء . ولعل السماء كانت جلية الآية من تسجيل
دعائه ، فلقد كان مجاب ليله ونهاره . وبعد أن استقر المقام
« بنعيم » وأصبح رجلا واضح الأثر جلى الذكر فى محيط
تلك الدائرة . جرت بينه وبين مراد بك هذا الرجل
الكريم الذى كانت له عليه يد لن تمحى الأيام لها من
أثر أو يغمط هو مالها من فضل كثير عليه ، زاد التوادد
بين هذين الأليفين . الذى كان بدء المعرفة بينهما . تلك
الوظيفة الذى ساعده فيها « مراد بك » . وأصبح نعيم يحب

« مراد بك » كل الحب ويصغى لمدينه بكل جوارحه فى مختلف نواحيه ، وجمع من هطل قصصه باقة عطرة الألفاظ تصحبه أينما الغدو والرواح . دونها بسجل فكره يلجأ اليها عند المأزق يستنير بهديها . ومما حبب إلى نعيم كثرة التردد ، ورغبة تديم آصرة العلاقة بينهما . ما كان يشعر به من بسط راحة ذلك الكريم فى نواحى البر القويم

حياة جديدة

عجب ما لهذا . إنه السر الخفى الذى غض طى الكثير . بل ولا يعلمه أحد خارج البيت كان أو داخله . بيته « مراد باك » اللهم إلا قلوب عدة . تكمن فى حشاشتها هذا السر المبهم مبدئيا حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا . تصرمت الشهور تليها الليالى والأيام ، وكلها أنفاس تخرج دون عودة . من إنسان كان أو حيوان ، وكل إلى زوال ،

ولا يبقى إلا وجه ربك ذو الجلال والاكرام ، وإنه لعسير على الرجل الغريب أن يفهم المسألة على حقيقتها بل لا بد من جاسوسة تطلعه الخفايا ، وتأتيه بالأنباء مشروحة . ظلت هكذا المسألة بين الغموض والابهام ، حتى أعيت الجيران الحيل . للوقوف على سرها ، والنفس بفطرتها مشوقة إلى غريزة حب الاستطلاع . زالت الكلفة بين رب البيت وأفراد أسرته . وبين « نعيم » . وأصبح كأحد أنجال « مراد بك » ومن هنا كانت سعادة « نعيم » تطل على وديان الصحراء القاحلة ومن ثم أبدى « نعيم » رغبته فى الاقتران بكريمته المحبوبة « سعاد » فكانت تلك الكلمة موضع ترحيب الأبوين وزاد تلك الخطوة من رابطة الألفة بينهما ، وعززت المحبة من كليهما ، وضاعفت من التودد الذى لا يقل كثيرا عن كونه « نعيم » أحد أفراد الأسرة ، وظل كذلك تجمعهم مائدة واحدة

ويؤمهم هذا الرائد الكريم . فى كل صحبة أو جلسة الأشهر الطوال . وقد تقدم فى خلال تلك المدة بشبكة إلى « عروسه الحسناء » كانت موضع اعجاب الجميع وتحفة قلب خاص جعلت لها منه إطارا متقنا

صهر نعيم

كان مراد بك هذا صهر نعيم وكمال سعادته موظفا كبيرا يحتل مركزا ممتازا ويتعطى دستا مرموقا باحدى وزارات الحكومة ، وكان يتقاضى ما يربو على السبعين جنيها كل شهر . كانت لوجهات الخير والاصلاح منه نيف العشرين ولقد كان المحسن الاول ، والنصير الاول ، ونحن بصدد فضله ندون فى صفحة الاصلاح والخدمات ما يجل الحصر دونه . وتلك قصة « نعيم » بين يديك توحى اليك بشخصية هذا الرجل الكبير . وإنك بنفسك تستطيع

أن تستنبط كل هـذا دون حاجة إلى معونة أو توجيه .
ولترسل إلى من لومك ما تراه على انحراف من كلمة .
نشأت عروس نعيم « سعاد » بين أم حوت المجد من أصوله
لفروعه وأب شيد قصور المجد الشامخة وأقام صرح الاصلاح
الشاهق . فحق له من العظمة ما نخوفو ، وعينا واخر ابهما
بناة الأهرام ، وأشبال الماضي التليد . دخلت « سعاد »
التعليم الابتدائي . وأردفته بالثانوي ، ومن ثم فقد أبيا عليها
أبواها . أن تتم التعليم العالي . مترسمين في ذلك عظمة
الريف ، وتقويمه الكبير في تنشئة أبنائه . فان البنت عندما
تبلغ السابعة أو الثامنة من عمرها لم يكن ليتاح لها الخروج
بأي حال ، وليس لها أن تتنصل من هذه القيود بالطبع ،
أو تعد هذا في مجال اخماد الشعور ، وكبت الحرية وتلك
خطة عهدها الجميع . فلن يحيد عنها قيد أنملة إنسان . درج
بين أحضان الريف الكريم .

عروسان

تربع « نعيم » على عرش فؤاد الفتاة . المتوفرة الجمال والفتنة التى كانت فى نظيرها من ذلك الشاب الأنيق الملبس الرشيق الذوق والخلقة . فكان على كل منهما هالة من السحر الوقاد وسيطرة من الدلال الأخاذ بالقلوب فى حدة الأسد وبطشة الضرغام . وكان كلاهما يدع فى قلب صاحبه جمرة من الحب ملتهبة الاوار مشبوبة النار . ومن ثم كانت الرغبة فى لقاء كل منهما بصاحبه كالسائر فى عجالته وكالقطار فى سرعته ومن ثم فقد قدم « نعيم » نفسه إلى أم عروسه يستسمحها فى تعجيل زفافهما . فطمأنت من خاطره ما هدأ له باله ، واستقر له جنانه ، ونشرت فى جو البيت من حديثها عطرا وريحانا ، ورجعت السيدة إلى زوجها تسأله تمام رغبة الخطيبين . فقال ماشئتم فافعلوه . دون رجوع إلى أو استشارة

وأخذ الكل يعد العدة ، ويهيء الوقت الطويل فى تيسير الزفاف . وعدد الوقت ، وجاء يوم « العرس » المنشود ، فاطرب الحى صوت ذلك المطرب الشهير الذى لم نجمه فى أفلام مختلفة . لحن طيب وصوت رخيم فكانت ليلة جميلة رفهت عن المكلوم أشجانه ، وسرت عن المحموم آلامه وضاعفت لذوى السرور سروره . فجميل صفو تلك الساعات بين سكون الطبيعة ، وارهاف الأسماع ، وانصرف الكل ليلتة نشوان سكران فى نفس الوقت الذى كان فيه يتمتع برشفات الحب هذان العروسان يضمهما سقف واحد وتحتويهما جدران أربع ، هى محراب الهوى .

الزهرة الذابلة

تريث هاهنا يا صاح لأعود بك إلى رجاء تتأمل حالتها وتضع بين يديها نظرة خاطفة تزيح عن كواهلهما

قناع الغموض والابهام . هذه رجاء قابعة باحدى زوايا الحجرة بين براثن المرض تئن أنين المحتضر ، وترزح تحت عبء ينوء به اقيال الوهاد والمفازه ، وتتضجر منه وحوش الغابات والقفار . هاهى رجاء بين الموت والحياة . واليأس والرجاء . تحولت بها الحياة الى لون شاحب وجلد غائر ، وعظم على أبواب الرمم ، وكأنها لم تكن بالأمس انسانة لو سطا جمالها على قلب أوسعته فى شباكه ، وانتزع منه ثباته ، فتتركه بين الذهول والدهشه يهذى ما شاء له الهذيان من سكرة الشارب ، وأربة المجنون . كان لها من السحر صولة تخترم الافئدة ، وسياط تلهب بها الشعور ، فعد معى بعد أن سمعت هذا . وارمقها بنظرة واحدة لترجع وأيم الله خائر التقوى مرهف الحس . سئيم النفس ، سقيم الضمير . آه . يارجاء . كم تعانين الساعة من ألم المرض المزمن وكم تقاسين اليوم عناء هذا الداء الموحش الأفق المنبر السحاب . فرحمة

يك أيتها الفاضلة الحسناء ، وزهرة الوجود ، ونضرة الحياة
إنه المرض الذى لو عرف فيك الشكيمة ما عاودك المرة
ثانية ، ولكنه الدهر الذى لن يملى لكائن هبط أو سما .
فالليوم رأفة بحال هذه المسكينة التى عاشت على شظف
النعمة أنها تضرع خفية وجهرا إبلالا من سقامها وكأن
الداء آنس فيها لذة البقاء وطيب القطن . فتألى الايد
مسكانا ، وما لها من لذة بجواره . فهلا وجد بين اخريات
الوجود مرتما يحويه

آلام

ظلت رجاء بين مخالب الداء شهورا طوالا قاست فيها
صنوفا من الألم المبرح وعذابا فى لظى السعير تتأوه فى
شبه تصفيق الطريق . عزاء وسلوى أيتها الفضلى فان القلب
لم تنزح عنه آلامك التى تعانيها الساعة أبد الدهر ولو

فارقتك . فانها لأقسى على من صدمة الصخر وضربة النصل
ايه أيتها الآونة الرهيبة . والساعة العصيبة . فما فتئت فيك
أرفع إلى السماء جبينا يعطر عرقا ووجها انكسفت دونه
شمس الحياة ، واغبر حياله أفق الرجاء . وغامت السماء بدخان
كثيف . لا يخترق الدعاء ستره وحجابه . فذلك شأن عهده
فيك الجميع طرا . فكيف النجاة وأين إلى الصواب الطريق
كانت فى ذلك الحين تقوم بخدمة ربماء خادمتها « ثناء »
التى أنست فيها روحا تقية ونفسا عفيفة لن تقرب المكروه
ولو أحيط بكنوز الوجود جمعاء . حيث كانت تمطن عليها
سيدتها الكريمة ، ولا تحوجها السؤال . وفى مساء إحدى
ليالى الخريف المقمرة حببت إلى أحد أصدقائى المخلصين الذين
كانت لهم العقلية التى لو شئت لأسطرت عليك من عذوبة
الألفاظ ذهبا وفضة . فقد كنت أطمئن لحديثه أكثر من
سواه إذ فيه الذكاء المفرط ، والخطيب المصقع ، والمرشد

الأخاذ ورجائى أن تقضى تلك الليلة معى نترجل شاطئ جدول عظيم فضلا عن النهيرات التى تكتنفه فوجدت فى هذه النزهة ما حفزنى على القبول على الرغم من هواجس الفكر المؤلمة وقد رافقته أخيرا إلى تلك الجولة ونحن بين زرقة السماء ، ولمعة القمر على لجين الماء من غدوة ورواح

زفرة على سرير رجاء

قبعت للساعة التى سخطت فيها على الخلط الواهي فى شبه وقرابة من خيوط العنكبوت نسجا واغبرارا . فى حجرة الجلوس أسجل بقلم الحزن والألم اقفرار تلك الساعات التى نحن فيها مشدوهين أمام ضربة الدهر وقسوة لزمن القارصة . انها رجاء تحتضر ! وليست تثن انات المريض الذى أعياه الداء وأضناه السقم . فانى طريق الشفاء أنتحيه لأغترف منه حفنة أودعها لدى رجاء . فتخلع ثوب المرض

وأين طريق البلسم لأرد منهله ، وأعود منه بجرعات شافية إلى رجاء ! ولكن هيهات فهى اضغاث أحلام يعليها الخيال ان تتحقق لها من رواية وبينما انا ينازعنى الفكر بطيفه والوهم يشجنه اذا بخادمة رجاء تطرق الباب بعنف تجاوبت لدقاته أرجاء الحجرة . فابتدرتنى قائلة : بصوت خافت تجلت فيه نبرات الحزن سيدتى رجاء تدعوك ! لتودعك الوداع الاخير وهى تفيض بالنفس والروح . فوجم لهذا النبأ فؤادى ، ووقر لفلظتها سمعى ، وعلت هامتى سحابة مثل ظلام الليل الداجس العبوس ، وسرت اتعقب خطاها فى صدعة الكليم . وغفلة الأسير . كنت بعد دقائق على رأسها تنظرنى وأنظرها ايه يا رجاء ! أين ساعات الربيع المؤنسة ، وأين خلستنا الوقت تحت شجيرات الصنوبر أكتشف القمر بقلبي وقلبك ، ونودع على جنبات ضوئه قبلات الوفاء فى مثل هطل السماء بين بليل الهواء ،

وخضرة العشب من نبت الرياض.

ماتت رجاء

قلما يصفو الدهر لانسان أو يعيره نظرة تجفف سكب دمعه . وإنه لعبث كل العبث أن يتخيل موجود إن صفت إليه الحياة يوما انه من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، فهذا شأن الاله الذى لا يعد للوجود حسبانا . فلله أمر هذه الحياة ، وشأن لوجود يتولى بعلمه ما شاء أصلح وما شاء أنكد فاليه المصير والمرجع الأخير . وأيم الله إنها ساعة خار الفكر من تصرفها فلقد تباين فيها العذاب النازل من سمائه على قلب ادمل دما وقيحا . واختلفت فيها صنوف الألم من مصادر عدة . فها هى رجاء بين حومة من النساء ، وحلقة منهن مسجاة بعد أن فاضت روحها إلى جوار ربها وأعلن أمامها خبر فعالها ، وتغيب عن

الوجود روحها ونفسها : اللهم الارفات ليس به من نبض ، وجسم ليس له من أثر . فلقد هوت إلى عالم الأموات تلك النجمة المشرفة فى جبين الدهر ، والزهرة الباسقة على هامة الوجود . إلى الرقدة الاخيرة . أمل قلب طالما هش للقائك وابتسم له الدهر عن وجودك بجواره إلى حيث يحتويك الثرى ويضم سطحك باطن الارض ، وجوف التربة . ما أقساها ساعة انفطار لها القلب وجدا وتلظى بلهب الذوى المحرق . تبت يدا الدهر . التى تفتك بالقلوب وتمزق الاحشاء دون رفق أو أناة إلى العفاء ! إلى البلى ! فانها الرحمة الأفقيه والعظمة الالهية عجلت بالخير منكم بنى الانسان ، فالى طريقك دون إحجام تلك قد أعد هنالك فى جنة الخلد صرح شيدته لا يد الانسان ، ولكن قدرة الله التى فوق مستوى الانسانية ابداعا وتنميقا ، فلقد تركت يا رجاء . « قلبا » واحدا سوف يرزح تحت عبء ثكلك

عمر الله ودهرا ورزق فيك فادح فلن ترقأ دمعة محجري حتى أرقدها ضجعة لا حراك فيها !

أيتها الحياة

ما الانسان في صروف الدهر وما سعى الحياة يد أو جريرة ولكنها القدرة التي هي أسمى من نطاق الانسانية ومستوى البشرية وأجدر ما شئت لهذا اللفظ من تكرار فتلك خلقة وذلك مخلوق ؟ فحق الفرق بينهما الذي أشبه في نظيره من بدء الخليقة حتى نهاية الوجود ، وتلك قصة فتاة أمهلها الدهر برهة بين لذة الجمال وفتنة الآمال طرحت عن نفسها وهم الخيال ، واحتفظت لها الحياة بمكانة شامخة أهلتها لرقي الافق وعروج السماء . فلا عجب أن حاول الدهر اخلاق كل هذا وما فتىء يفتش عن النكبة حتى أصابها محنة قاسية . أمطرها تلك الشابة وهي في مقبل

العمر وعنفوان الشباب. يمتلىء قلبها بالأماني والآمال ولكن خلسة ذهبت هباء.

بهذا اللعن أو بمعناه أرتل تفطر القلب وقسوة المحنة ونحس الحظ والظروف بظاهر الحياة بريق الماس وفي جوفها دكون الليل وحلكة الظلام فهلا تصارحيني أيتها الحياة بما في جوفك بين طيات الخفية والغموض وهلا أفصحت لي أيها المستقبل عما احتضنته لي من سوء أو خير. فسق ماشئت من خير أو شر فليس لي فيك رجاء

نعيم بين أعطاف النعيم

لنترقب سيرة نعيم ونبحث أين يقيم، وكيف حاله. نزح نعيم بالقرب من قريته بواسطة مراد بك صهره، الجواد الطيب القلب العطر الاحدوث وقد تنعم بتلك النقلة التي كانت سببا في راحته فترة وجيزة من الزمن ثم

أعقبها الدهر بما توجس منه خيفة ورعبا . كان نعيم رهوب الجانب موفور الكرامة شامخ الأنف بين زملائه ، وليس له في هذا ما يشجع فان مظهره لا تتوافر فيه هذه المكانة ولكن اذا كان ذلك لمكانه مصهره ومنزلته ، فقد كان ساطع النجم جم الشمائل . يهابه الكثير أجل اذا كان نعيم يصول ويجول حسبما وجهه عقله وتابعه شيطانه وإذا اخطأ انهالت الاقلام تحسن من مساويه ، وتدفع عنه شر العدو الحقود ، وأخذ يتناوب على مناصب عدة ، ويتدرج الى كراسي مختلفة حتى أصبح مديرا للضرائب بعد مدة وجيزة ، وفترة قصيرة شأن التوصيات من صهره الكبير . وإنه أمر عجيب لتطور الحياة المدهش فقد كان نعيم في أيامه الخوالي يكاد يفترسه الطوى وتلتهمه ضربة الجوع القاضية . بين مخالب الفقر المدقع وشبح اليأس المائل أمام عينيه حتى واتته الظروف وهيأت له من الواهي سعادة عالقة بأجواز الفضاء

فى مثل طيف الخيال . جلس نعيم يوما على مكتبه يتفقد أحوال مرءوسيه فوجد هناك موظفا جديدا قد ظهر بمظهر غريب . ماذا وجد ؟ وجد هذا الموظف ينتمى إلى أسرة كبيرة المنبت كريمة المحتد ، وقد لوحظ على هذا الشاب أنه أقرب إلى الرعونة منه إلى الرصانة . فقد كان فى كل جلساته حتى بين زملائه يفخر بمنبته دون أن يربط بحديثه السابق حديثه الحاضر وإن كان يحق له هذا فقد كان له هذا البك ، وذلك الباشا ، ولكن لكل شىء مجاله ولكل مقام مقال ، وكثيرا ما كان يبدأ زملاءه بأحاديث معجمه لا تشعر إلا بهذيان العقيدة . استرعى هذا المنظر المثير « نعيما » فحدق عليه وحاول اقلاعه ، ولكنه لم يصل الى مرغوبه ولم يعثر على ضالته المنشودة وقد كان مما أثار كوامنه وأهاج عواطفه اعتزاز هذا الشاب ومحاولته الظهور عليه . فوجد نعيم بين نفس مرءوسيه ، مانافسه فى مظهره

وأبهته ، وقد خلقت هذه المنافسة مشكلة دارت من اجلها معركة تطاحن فيها الفريقان ، ولكن لم يبلغ فيها نعيم ، ما يصبو اليه من خلع هذا الموظف وأخذ يعمل جهد طاقته بتقاريره ضده ، واستعان من الجانب الآخر بمراد بك فى نزع هذا الشاب ، وقد تم مرغوبه ونقل الشاب ، واطمأن نعيم بالا ، وهدأت ثورته ، وتفهم فكره فى جوار الهدوء والسكون ، وراح يملأ الجو تيها فى خيلة الطاووس ومنعة الضرغام

تمرد أخلاقه

نزح هذا الموظف الذى قيد من حرية نعيم أياما وصفا الجو أمامه وأصبح المجال متسعا ليسترد فيه عادته من الأيام الخوالى . وامتلأت نفس نعيم صلفا وغرورا وعاودته سيرته الأولى فى قالب مكشوف غير مستساغ

وقد أدخل عليه حواشى لها آسانة الماء ونتانة الجيف وظل الدهر يمهله على طغيانه حتى أخذه أخذ عزيز مقتدر واقتص منه قصاص عداء ليس فيه من رحمة أو لين بل إنها الغلظة القاسية فى غيظة الحانق . والجزاء من جنس العمل إن خيرا فخير وإن شرا فشر والحسنى بمثلها بدلا .

تحدى نعيم مرءوسيه كأنه ما يعامل سوى أوباش ليس لهم من حول أو طول وتجرد من الذوق وأصبح إنسانا ممقوتا ليس عنده من ضمير يؤنبه أو خردلة من حياء . وظل يهمل دون حذر ويلهو ما طاب له اللهو حتى أردف الدهر عقباه عليه بما جنى وكان السبب فى كل هذا صهره « مراد بك » الذى عجز حيال صدمة واستسلم هو أيضا للقضاء حيث لا قدرة له إزاء حادث سوف يصرم عليه الجزاء ويلقى منه مسموم العقاب كان نعيم فى تلك الوظيفة بيده زمام الأمر كله واليه الشورى والمرجع فى

المفضلات فكان كل هذا يزيده طمعاً وطموحا للاستزادة ففي مواقع كثيرة كان يتحين الفرص ويختلس مبالغ فادحة ولكنه كان ذو صواب فقبل الفعله يضع الخطه للنجاة وبمثل هذا فقد تعدد سرارا ونجا من الكثير فيها ولكنه طمع أخيراً بما أودى بحياته وزج به في معترك السجون يلهث كالثور من لهب الشمس وقيظ الوجود وقد عض بنابه أنامله أسالت دما في مثل دفق أفواه القرب

عقوبة

تابع الموظف الذى قد نقله نعيم خطاه وأعقب منه المسير وأخذ يتحين الفرص للغدر به أخذا بثأره فكان يسترق سمع المتحدثين عن هـذا الموظف الكبير الذى تطايرت عنه الاشاعات في مثل جمرات الشهب وللحظ المشئوم فقد كان يختلط هـذا الموظف بزملائه مرءوسى نعيم وحنق هؤلاء عليه فقد كانوا يودون لو انكشف عيبه

وأودع لدى أتون يصطلي بناره أو مرجل يغلي فيه فمن هنا كان يتطلع على الأخبار يوما بيوم وأولا بأول وسر كل السرور بتلك المحنة الجسيمة والغمة الشئومة عليه وهاهو يدون بفكره تلك الأحداث التي وقع نعيم في شراكها وبعد فترة وجيزة من الزمن انقضت على خلسته لهذا المبلغ الباهظ المقدار قد انكشف ستره حيال ذلك ومن ثم فقد استعان بأحد أقربائه ممن لهم منزلة سامية ولاذ بحلفه في تلك المشكلة العويصة علها تكون الضربة القاضية على ذلك الخصم الألد في ذلك الوجود واتضح الأمر وانجلت المسألة ووقف نعيم أمام القضاء للمحاكمة وليس له في تلك الآونة من مجير أو نصير يلوذ بحماه ويلجأ إلى كنفه واسفرت النتيجة عن ادانة نعيم واختلاسه مبلغاً كبيرا لا يقدر بمقدار كما كانت تلك الخاتمة سبيلا موصلا إلى أشياء أخر بين أستار الخفايا فضوعف له العذاب وصبت عليه حمم

اللظى . ومن تلك اللحظة فقد زج به إلى قاعة الحكم الصارم تحت حراسة جند مدججين بالسلاح وتحددت قضية وقت نهيم يومها بين القاضي حيث يرتل الحكم الواقع عليه وهو يقضي بفصله من الوظيفة الحكومية ورد المبالغ المختلسة من خزانة الدوله وسجنه المدة المؤبدة وكبل بالأصفاد والاغلال للحين الذي صدر فيه الحكم عليه ويالها من ساعة فقد الصواب فيها ونزحت إلى الخارج أمعاؤه إنها لأقسى طعنة وأشنع فتك تموت به الأحياء

« الخاتمة »

للنفس ما تشتهي أملا . وللفكر ما يرتقي صورا للجسم أنى يستوى رفها والروح أنى تبتغي نفقا « فليس كل ما يتمنى المرء يدركه تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن » ولكنها إمرة الله نحن لها مسكر وجنود . أنعمي خوارا أيتها الغادة الحسناء والدرة الرشقاء والزهرة الفيحاء إنه

نعم الجوار وأكرم بها من دار واجمل بها من طيب القرار لله كم في تلك الضجعة من سكون وكم لها من هدوء في عالم الأمل الصادق لا الوهم من صور الخيال ، فجودي أيتها القريحة بما غلا ونفس وأمطريني أيتها الطبيعة من أنفاس عطرك جملا أسبق منها صحبة في لون الثغر منها والجبين أبللها بدمعة الرثاء الحارة الملتهبة الأوار وأدعها بسطح الأرض ومستوى القبر . لتستنشق منها العبير . ورحماك رب الوجود والموجود بنفس هذا الثاكل المحموم « نعيم » الذي أحال الوجود لي أنهر تتسابق من سكب دمعه . كابد منذ نعومة ظفره وضآلة ذهنه ثم أعقبته السعادة فما لبث أن انتقم منه الدهر . فلقد كان أحب إلى نفسه قصف غصنه يعايشه موتة تخفى معالم العار المشين ورقدة بين طيات الكفن وأدراج القبور . ذلك كان أنعم حالا من تلك التي أثارتها شنة من قذاها المتلوم ؟

شكر وتقدير

إلى علم المروءة والشهامة ؛ إلى القبس الذى أفاض ضوءه فغمر الفيح والحضر . إلى رجل التقدير والمقدرة . إلى الكفء من بنى جنسه . إلى الفريد فى دهره والوحيد فى عالمه . الى الروح التى لا تعرف الجبن والخور . إلى الذات التى تظللها الكياسة . وتلبس روح المهند الصمصام .

إلى الأستاذ طه ابراهيم عزام . كبير الهمة .

وإليه وحده . من قلب غمره فيض جميله . نرجع شكرنا وتقديرنا ؟

المؤلفان